النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

الوحي وكتبهُ وائمَّتهُ

ليس الدين طبيعيًا فقط يدرك حقائقهُ العقلُ البشري ويقرّرها بالادلَّة العقليَّة . لكنَّهُ وضعيٌ ايضاً وهو الذي اوحى بهِ الله الى عبادهِ وارشدهم اليهِ على يد بعض اصفيائهِ المعروفين بالانبياء. كوسى كليمهِ تعالى ولاسيما السيد المسيح كلمة الله فطوراً اوحى بمناسك وفرائض معلومة كالختان والذبائح وطوراً انبأ باسرار تفوق ادراك البشر كاسرار العالم الآخر وبعض الحقائق الالهيَّة. ولا يخفى انَّ العرب في الجاهليَّة لم يعرفوا وحياً ولم يدينوا بدين وضعيٍّ بل افسدوا الدين الطبيعيّ والحقوا بالشرك وعبادة الاصنام كما تدلُّ عليهِ الآثار المتعدّدة المكتشفة في عهدنا

على انَّ جهلهم بالوحي انَّما سبق عهد المسيح وقد بيَّنا في القسم الاوَّل من مقالاتنا نفوذ النصرانيَّة بين العرب. ولنا في لغتهم العربيَّة قبل الاسلام ما يثبت هذا القول. وذلك في استعمالهم للالفاظ الدالَّة على الوحي وكتبهِ وائمتهِ كما سترى

(الوَحي) هي اوَّل لفظة تدل على قولنا . فانَّها وردت في الشعر الجاهليّ قبل القرآن بمعنى تبليغ الله كلمتهُ الى انبيائهِ . قال ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ :

وجبريلُ يأتيهِ ومكالُ منهما من الله وَحيٌ يشرحُ الصدرَ مُنزَلُ

فبقولهِ « الوحي المُنزَل » بيَّن كونهُ يريد ديناً وضعيًا بلَّغ بهِ الله انبياءهُ . ومثلهُ قول اميَّة بن ابي الصلت في الملائكة واصافتهم لوحي الله :

وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوَحي وُكَّدُ

امينٌ لوحي التذكر حين فيهم ... وميكالُ ذو الروح القويّ المسدَّدُ

وقد انتقلوا من معنى اللفظة الاصلي الى معناها المجازيّ فجعلوا الاسفار الالهيّة وحياً والمكتوب فيها وحياً قال جرير بهذا المعنى (معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٦) :

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأنعمِ ... كالوَحْي في ورق الزَّبورِ المُعْجَمِ

واذ كانوا يحفرون بعض آيات الوحي في الصخور اشاروا الى ذلك في اشعارهم. قال زهير يشبّه آثار الدار بكتابة الوحي (شعراء النصرانيّة ص ٥٧٥) :

« لمن طَلَلٌ كالوَحْي عافٍ منازلُهْ »

وعلى مثاله قال حسّان بن ثابت (سيرة الرسول ص ٤٥٩ ed. Wüstenfeld)

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ ... كخطّ الوَحْي في الورق القشيبِ

وقد جاءت على لفظ الجمع في معلّقة لبيد قال يشبّه مسايل جبل ريّان ببقاء كتابة الوحي في الحجارة :

فَدَافِعُ الريّانِ عُرِّيَ رسمُها ... خلقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها

وقد دعوا كتب الوحي بالفاظ اخرى تدلّ على احترامها ككلام الله . فمنها (السِفر) واصلها من العبرانيّة ספר والسريانيّة ܣܦܪܐ ومعناها الكتاب وقد خصّوا بها الكتب الالهيّة . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٣) : « السِفر الكتاب من التوراة والانجيل وما اشبههما ». وقد وردت في القران في سورة الجمعة وفي الحديث بالمعنى ذاته. وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) دخول الحُسين بن ضحّاك الى احد اديرة النصارى بينما كان الراهب يقرأ « سِفراً من اسفارهم » اي كتبهم المقدّسة وكانوا يدعون كلًّا من تلك الاسفار (بكتاب الله). قال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيّة) :

ناشدتنا بكتاب الله حُرْمَتَنا ... ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

وقد دعوا ايضاً كتب الوحي (مجلّة) وعلى هذا رُوي بيت النابغة في بني غسّان :

بمجلّتهم ذات الإلهِ ودينُهم ... قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ

قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩١) : « المجلّة الصحيفة يُكتَب فيها شيْ

من الحكمة . واصل الكلمة من العبرانية מדה اي الوحي والتبيان . وقد وردت في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٥ ed. Wüstenfeld.) حيث ذكر « مجلة لقمان يعني حكمة لقمان » وفي حديث انس « ألقى الينا مجالّ اي صُفُحاً »

وربّما دعوا كتاب الوحي (بالصَّحيفة) جمعها صحائف وصُحُف واصلها من الحميريّة والحبشيّة بمعنى الكتاب والرسالة مطلقاً . قال لقيط الايادي في اوّل قصيدة يحذّر فيها قومهُ من كسرى (الاغاني ٢٠ : ٣٤) :

كتابٌ في الصحيفةِ من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

ومثلها « صُحُف موسى وابراهيم » في القرآن يُراد بها كُتُب منسوبة الى موسى وابراهيم

ومثلها (المُصْحَف) بتثليث الميم اي الكتاب والمسلمون يخصُّونها بالقرآن . وقد سبق شعراء الجاهليّة فنطقوا بها واطلقوها على اسفار النصارى قال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) وورد في قولهِ اسم (الآية) اشارة الى مضامين تلك الاسفار :

فقا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ وهل تَمْتَنَّ آيَاتُهُ منذ ازمانِ
أتتْ حِجَجٌ بعدي عليهِ فأصبحتْ كخطِّ زَبُورٍ في مَصَاحفِ رُهْبانِ

واصل الكلمة من الحبشية ٣٨٨٨٨ (مَصْحَف) من ٨٨٨ (صَحَفَ) اي كَتَبَ

وقد استعملوا لفظة (القرآن) ولم يتّفقوا على اصلها فمنهم مَن همزها وجعلها مصدرًا لقرأ بمعنى القراءة . ومنهم من رجّح عدم همزها فقال قُرَان واستشهدوا ببيت حسّان بن ثابت في هجوم لبني جمح (سيرة الرسول ص ٥٢٦) قال (١ :

جَحَدوا القُرَانَ وكذّبوا بمحمّدٍ والله يُظهر دينَ كلّ رسولِ

وعليهِ تكون القُران من قَرَن اي جمع - بمعنى مجموع الآيات - وعلى رأينا انّ الهمز افضل وهو الشائع وعلى هذا اللفظ وردت في لاميّة كعب بن زهير قال :

مَهْلًا هداك الذي اعطاك نافلةَ م القُرْآنِ فيهِ مواعيظٌ وتفصيلُ

وعندنا انّ اصل الكلمة من السريانيّة ܩܪܝܢܐ وهي مصدر ܩܪܐ ومعناها

(١ راجع كتاب نولدك (Noeldeke: *Gesch. d. Qorans.* p. 25-27)

القراءة وقطعة من الكتاب لا سيما الكتاب المقدّس ويقال بهذا المعنى « رأس القِرْيان » (ܩܪܝܢ ܪܫ)

وقد استعملوا (الفُرْقان) بمعنى القُرآن قالوا دُعي بذلك لانهُ يفرق الحقّ من الباطل . وجاءت الكلمة في القرآن في سورة البقرة بمعنى التوراة حيث قال: « آتَيْنا موسى الكتاب والفُرْقان » (راجع تاج العروس في مادّة فرق) . واصل هذه الكلمة على ما ترى من السريانيّة وهي ܦܘܪܩܢܐ بمعنى النجاة والخلاص مع الاشارة الى الفصل والتفريق . وقد وردت بمعنى الخلاص في القرآن في سورة الانفال حيث قال : « إنْ تتّقوا الله يجعَلْ لكم فُرْقانًا » فشرحهُ ابن سعيد بقولهِ : « الفرقان النصر على الاعداء » وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفُرْقان » بيوم النصر

ثمّ دعوا فصول القرآن (سُورة) فهمزها بعضهم واهمل همزها غيرهم فقالوا هي البقيّة من الشيء والقطعة منهُ . وقال غيرهم هي من السُورة بمعنى الرتبة والشرف كما قال النابغة يمدح النعمان :

ألَمْ تَرَ انَّ اللهَ أعطاكَ سُورَةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يَتَذَبْذَبُ

والمرجّح ما ارتآهُ في ذلك العلّامة نولدك (Gesch. d. Qorans, p. 24) انَّ اصلها من العبرانيّة ܫܘܪܬܐ معناها المِدْماك والسافّ من البناء ومجازًا هي سطور الكتابة والقطعة منها

ثمّ انَّ وسيط الوحي بين الله والبشر (النبيّ) شرحهُ في تاج العروس (١ : ١٣٣) بقولهِ : « النبيّ على فَعيل الطريق الواضح يُهْمَز ولا يُهْمَز . . ومنهُ أُخذ الرسول لانهُ الطريق المُوضح المُوصل الى الله تعالى » وعلى رأي العلماء هذا شرح بعيد واللفظة من العبرانيّة ܢܒܝ والسريانيّة ܢܒܝܐ اي الناظر والراني سلفًا لما يوحي اليهِ الله من الامور المستقبلة . وقد جاءت في الشعر الجاهليّ قال اميّة بن ابي الصلت عن مريم العذراء كتاب البدء للمقدسيّ (٣ : ١٢٣) :

فأدْرَكها من ربّها ثمّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيّ مكلّمِ

وقال آخر :

كلّ اهل السماء يدعو عليكم من نبيّ وملأك ورسولِ

ومثل نبيّ (الرّسول) اي المرسل من الله الى الناس قال اميّة في بعثة الله لموسى الكليم (سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥):

وأنت الذي من فضل مَنٍّ (١ ورَحمَةٍ بَعَثْت الى موسى رسولًا مناديا

وقال ايضاً عن لسان الملاك جبرئيل الى مريم يبشرها بالمسيح (كتاب البدء ٣: ١٢٣):

أنيبي وأعطي ما سُئِلْتِ فانّني رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بابْنَم (٢

وقد استعملوا بمعنى الرسول (النّذير) قال اميّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢: ١٤٦) عن لسان ابليس:

يقول خزّانُها ما كان عندكمُ ألم يكن جاءكم من ربّكم نُذُرُ

*

واخصّ ما عرفهُ العرب في الجاهليّة من الكتب المنزلة (التوراة والزبور والانجيل). فقالوا في التوراة (توريّة) ايضاً وهي كتب موسى الخمسة اي التكوين والخروج والعدد وسفر الاحبار وتثنية الاشتراع. ثمّ اطلقوها على اسفار العهد القديم اجمالًا. ومن غريب ما قالهُ بعض اللغويين في اصل هذه الكلمة انّها مصدر ورّى الزاد توريةً اذا اخرج نارهُ وانّ التوراة لغة طيّ في التورية وكلاهما بمعنى الاضاءة. وفي شرح المفضليّات (ص ٤٤٧ ed. Lyall) انّ توراة اصلها وَوْراة بقلب الواو تاء واصحّ من هذا ما رواهُ صاحب التاج عن الزجّاج حيث قال: «هو لفظ غير عربيّ بل هو عبرانيّ اتّفاقاً» وهو في العبرانيّة תורה ومعناها التعليم والحكمة. وقد وردت الكلمة في الشعر القديم. قال السموءل (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢):

وبنايا الاسباطِ اسباطُ يعقو بَ دارسُ التّوْراةِ والتابوتُ

وقد ذكروا (موسى) صاحب التوراة كما رأيت في باب (الرّسول). وقال السموءل (ص ١٢):

وانقلاقُ - الأمواج طورَيْنِ عن مو سى وبَعْدُ الملْكُ الطالوتُ

---

١) وفي خزانة الادب (١: ١١٩): من فضل سَبَبٍ

٢) اي إرْضي يا مريم بما يطلب الله منك فابشرك بمولدِ ابنٍ اي المسيح. وأبْنَم كابن والميم للتفخيم

وقال المخرّس بن ربعيّ (ياقوت ٣ : ٨٧) من ابيات :

فلمّا لحقناهم قرأنا عليهمُ تحيّةَ موسى ربَّهُ اذ يجاورُهْ

وقد اكثر العرب من ذكر (الزَّبور) . قال المرقّش الاكبر (لسان العرب ١٦ : ٣) :

وكذلك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خطَّ ذلك في الزبو ر الاوّليّات القدائمْ

وقال امرؤ القيس (شعراء النصرانيّة ص ٦٥) :

لمن طَلَلٌ أبصرتُهُ فشجاني كخطّ زَبُور في عسيب يماني

قال ابن الكلبيّ في كتاب انساب العرب (Ms de Paris, ff. 160) : « انّ امرء القيس اوّل من شبّه الطَّلل بوَحي الزَّبور في عسيب يماني . وقد مرّ بك قوله :

أَتَتْ حججٌ بعدي عليها فاصبحَتْ كخطّ زَبُورٍ في معارف رهبانِ

وجمعوا الزَّبُور (الزُّبُر) قال المرّار بن منقذ في المفضّليات يصف دارًا :

وترى بها رسومًا قد عَلَتْ مثل خطّ الاعجمي وَحي الزُّبُرْ

ويشبهه قول الآخر :

او زُبُرٌ حمير بينها اجبارُها بالحيريّة في عسيبٍ ذابلِ

وقال كذلك اميّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) في يوم الدين :

وأبرزوا بصعيدٍ مستوٍ جَرَزٍ (١ وأُنزل العرشُ والميزان والزُّبُرُ

امّا اصل الكلمة فقد اشتقّوه من قولهم زَبَرَ الكتابَ زَبْرًا كتبهُ . قال صاحب التاج (في مادّة زَبَرَ) : « قال الازهريّ واعرفهُ النقش في الحجارة وقال بعضهم : زبرتُ الكتاب اذا اتقنتَ كتابتهُ » . وجعلوا الذَّبْر كالزَّبْر كما قال صخر الغي :

أبانٍ كبيرًا غير مخلَفةٍ تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبْرٌ لتذكرةٍ يعرفهُ البُهْمُ ومن حَشَدُوا

ورُوي في حديث لابن الكلبيّ (ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٩١) دَبَرَ بالدال قال في وصف صنم ودّ : « قد دُبِر عليه حأتان اي نُقش » . (قلنا) والصواب عندنا أن الزَّبْر من الزَّمر والزَّبُور كالمزمور وانمّا أُبدلت الميم باء كما ترى في لفظة « زمن » بالعربية وهي في السريانيّة ܙܒܢ بالباء . فكذلك الزَّبُور او المزبور من العبرانيّة מזמור وفي السريانيّة ܡܙܡܘܪ و ܡܙܡܘܪܐ وهو التسبيح

(١) الجَرَز الارض المجدبة . وفي الاصل حَرَز

ومثل التوراة والزبور (الإنجيل) اخذها العرب من اليونان εὐαγγέλιον بوساطة السريانية ܐܘܢܓܠܝܘܢ او اخذوها تورًا من الحبشية ወንጌል على هذه الصورة. وعلى كلّ حال انّ اللفظة سبقت الاسلام. قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ. طبعة مصر ٤ : ٦٦ Ms de Vienne. ff. 213r):

وأُوتيا المُلْكَ والإنجيلَ تقرأُهُ نشفي بحكمتهِ أحلامنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلنا فوق البريّة اربابًا كما فعلا

وروى البكريّ في معجم ما استعجم (ص ٣٦١) لشاعر لم يذكر اسمهُ بيتًا هجا فيهِ راهبًا هجر الرهبانيّة :

هجر الانجيلَ حبًّا للصبى ورأى الدنيا غرورًا فركنْ

وقال في محلّ آخر عن غلام يتغنّى بتلاوة الانجيل :

اذا رجّع الانجيلَ وامترّ ماندًا تذكّرَ محزونُ الفؤادِ غريبُ

والمرجّح انّ النابغة اراد الانجيل في ذكرهِ لجأة غسّان لمّا قال :

بملّتهم ذاتُ الإله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وكذلك من المحتمل انّ اميّة بن ابي الصّلت اراد الانجيل في البيت التالي حيث وردت لفظة الرقّ ومعناها السِّفر (راجع الاضداد لابن الانباري ص ٨١ ولسان العرب ٩ : ١٥٨) وهو يمدح بني اياد قومهُ النصارى :

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعًا والخطُّ والقلمُ

وكما ذكروا موسى وداود صاحبي التوراة والزبور كذلك ذكروا السيّد المسيح مع ذكرهم لانجيله الشريف وهم يدعونهُ (عيسى). روى ابن العربيّ في محاضرة الابرار (٢ : ٥٠) عن لسان قسّ بن ساعدة اسقف نجران : «الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثًا ولم يخلق الناس سدى من بعد عيسى واكثرت...». وفي اسم عيسى هذا سرٌّ من اسرار الاشتقاق الغريبة. قال في التاج (٤ : ٢٠٠) : «قال الجوهريّ عيسى عبرانيّ او سريانيّ. قال الليث: هو معدول عن ايشوع كذا يقول اهل السريانيّة» على انّ عدولهم هذا من باب الغرائب. ولا نجد علّةً قد تبدّل في العربيّة على هذا المنوال. وعندنا انّ هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين ادخلوهُ في العرب بعضًا

بالنصارى فدعوا يسوع باسم عيسى او عيسو وهو اخو يعقوب الذي نفاهُ الله من شعبهِ وكان هو وقومهُ الادوميُّون يُعدُّون رجساً في بني اسرائيل فقلبوا اسم يسوع ونقلوا عينهُ الى اوَّلهِ فجعلوا الرأس ذنباً وزعم بعضهم انَّ اصل عيسى « عِوَسى » قلبوا الواو ياء فصارت « عِيَسى » . قال اميَّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربِّ مريمَ آيةٌ منبَّئةٌ بالعَبْد ١) عيسى بن مريم

والعَبْد يسوع اسمٌ آخر اشيع منهُ عند العرب وهو « المسيح » من العبرانيَّة משיח والسريانيَّة ܡܫܺܝܚܳܐ وهما كالعربيَّة مسيح واليونانيَّة Χριστός اي الممسوح بدهن الكهنوت والملك كما كانوا يفعلون باجبار بني اسرائيل وملوكهم وقال العرب غير ذلك . روى في تاج العروس عن شمّر « انَّ المسيح دُعي بذلك لبركتهِ اي لانهُ مُسح بالبركة . وقال الراغب : سُمّي عيسى بالمسيح لانهُ مُسحَت عنهُ القوَّة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الاخلاق الذميمة ... وفي بعض الاقاويل المسيح من المَسْح لانهُ كان يسيح في البراري ويذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلَّى حتى الصباح » . وكل هذه آراء ضعيفة والصواب ما قلناهُ انهُ من المسح . وقد تكرَّر اسم المسيح في الشعر القديم . قال عمرو بن عبد الحقّ ويروى لغيرهِ (اطلب المعاجم في مادَّة ابل) :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكل ابل الابابين المسيح بن مَرْيَما

ورُوي للسموءل (راجع ديوانهُ صفحة ٣٢) قولهُ :

وفي آخر الايَّام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

وقال اميَّة يذكر مجيء المسيح في آخر الازمنة ليدين البشر :

ايأتي يلقى نصارام مسيحَهمُ والكائنين لهُ وذا وقربانا

وذكر آخر محاربة السيد المسيح للمسيح الدجال وانتصارهُ عليهِ (راجع اللسان في مادَّة مَسَح ٣ : ٤٣٠) :

إذ المسيحُ يقتلُ المسيحا

وكانوا يسمّون المسيح (بالابيل) ومعناهُ الناسك والزاهد بالدنيا ودعوهُ بابيل الابيلين لانهُ كان بزهدهِ قدوة الرهبان كما مرَّ بك

١) في الاصل : والعبد ونظنُّها تصحيفاً . وقد دعا المسيح عبداً لله من حيث ناسوته

وقد عظّموا ليلة مولد المسيح فدعوها ليل التمام . قال في اللسان (في مادّة تمّ ١٤ : ٣٣٤) : « قال عمرو بن شميل : ليل التمام اطول ما يكون من الليل . . قال الاصمعيّ . ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها وهي ليلة ميلاد عيسى . . . والنصارى تعظّمها وتقوم فيها »

ولم يذكروا فقط السيّد المسيح بل ذكروا امّهُ مريم العذراء كما رأيت . وذكروا القديس يوحنا الصابغ المتقدّم امام وجهه وذكروا تلامذتهُ . وممّا رووا عن (مريم العذراء) بتوليّتها وبشارة الملاك اليها بابنها الالهيّ وحبلها الطاهر بابنها من الروح القدس . ورد ذلك في القرآن وسبقهُ اميّة بن ابي الصلت فقال وفي قولهِ نظرٌ لما ادخلهُ فيهِ من المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونيّة (راجع كتاب البدء للمقدسي ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريم آيةٌ ... منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريم
انابتْ لوجه الله ثمّ تبتّلت ... فسبّحْ عنها (١ لومةَ المتلوّم
فلا هي همّت بالنكاح ولا دنتْ ... الى بشر منها بفرجٍ ولا فم
ولطّت حجابَ البيت من دون أهلها ... تغيّبُ عنهم في صحاريّ رِمْرِم (٢
يحارُ بها الساري اذا جنّ ليلهُ ... وليس وان كان النهارُ بمعلَم
تدلّى عليها بعد ما نام اهلُها ... رسولٌ فلم يَحْصَر ولم يَتَرَمرَم (٣
فقال : ألا تجزعي وتكذّبي (٤ ... ملائكةٌ من ربّ عادٍ وجُرهُم
أتيبي وأعطي ما سُئلتِ فإنّني ... رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بآبم (٥
فقالت لهُ أنّى يكونُ ولم أكُنْ ... بغيًّا ولا حُبلَى ولا ذاتَ قيّم (٦

١) سبّح عنها اي أبعد عنها وتزهّدها

٢) يقال لثّ الباب اذا اغلقهُ . ورِمْرِم علَم مكان . والرِمرام ايضًا الخشبة المشوكة المعروفة بالزمام فنسب الصحاري اليها . يريد الشاعر ان مريم خرجت الى الصحراء وهناك بشّرها الملاك بولد ابنها وهو قول اشارهُ الشاعر من مزاعم الكتبة غير القانونيين

٣) تحصير قصر عن الكلام . وتترمرم حرّك شفتيهِ بالكلام . يريد انّ كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر

٤) اي لا تخيبي ظنّهم فيك

٥) أعطي ما سُئلتِ اي ارضي بما يطلبهُ منك الربّ . وابن تفخيم ابن

٦) ذات قيم اي ذات زوج . والبيت ترجمة قول العذراء (لوقا ١ : ٥) : « وكيف يكون ذلك وانا لا اعرف رجلًا »

أأخرج بالرحمان ان كنت مؤمناً كلامي فاقمد ما بدا لك او قم (١
فسبح ثم اعترّها (٢ فالتقت به غلاماً سوياً الخلق ليس بتوأم
بنفخة في الصدر من جيب درعها وما يصرم الرحمن بل أمر يصرم (٣
فلما أتته وجاءت لوضعه فآوى لهم من لومهم والتندم (٤
وقال لها من حولها: جئت منكراً فحق بأن تلحى عليه وترجمي (٥
فأدركها من ربها ثم رحمة بصدق حديث من نبي مكلم
فقال لها: اني من الله آية وعلمني والله خير معلم
وأرسلت لم أرسل غريباً ولم أكن شقياً ولم أبعث بفحش ومأثم

اما (يوحنا المعمدان) السابق امام وجه المسيح فقد شاع ذكره بين عرب الجاهلية وقد رأيت ان احدى الكتابتين العربيتين السابقتين لعهد الاسلام كانت على باب كنيسة في حوران مشيدة على اسم القديس يوحنا (راجع الصفحة ٧١ مع رسم هذه الكتابة في الجدول ٦٨ — ٦٩) . وقد ذكر القرآن في سورة عمران (ع ٣٣ و ٣٤) ما روى عنه القديس لوقا في الانجيل من بشارة الملاك لابيه زكريا ومن مولده العجيب ووصفه هناك بكونه « مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » فاطرأ ايمانه ورفعة مقامه وعفته ونبوته

والعرب يدعون يوحنا المعمدان باسم (يحيى) وهو ايضاً مع اسم عيسى احد ألفاظ التبديل التي لم يذكر اللغويون سببها . ومن المعلوم ان يوحنا اسم عبراني مركب من كلمتين « يوحنن » (יהחנן) او « يهوحنن » (יהוחנן) اي حنّ الله وترحم ومنه السريانية ܝܘܚܢܢ فكيف اذن قُلب بيحيا . على رأينا ان الاسم قد تصحف في العربية وذلك انه كان في الاصل « يحنا » فكتبوه قبل وضع النقط والحركات

١) حرج بالرحمان اي كفر والاصل مصحف بأخرج . والمعنى كيف آثم امام الرحمن . فان صدقت قولي فبه والا فافعل ما بدا لك من اقامة او ذهاب

٢) اعترّها اي اعترض لها . يشير الى قول الانجيل ان الروح القدس ظللها فحبلت بمعجزة وقوتة بابنها المسيح دون زرع بشري . فالنفخة في صدرها مجاز

٣) صرمه بتّه وفصله . وقوله « بل أمر » اي من الامر

٤) في البيت تصحيف . والمعنى ان اليهود لما رأوا ابنها شكّوا في براءتها . وهو زعم من مزاعم اناجيل الزور ومثله قولهم عن المسيح انه تكلم في المهد ليبرّئ والدته الطاهرة ورد ذلك في انجيل الطفولية المصنوع

٥) لحاه بكّته وعابه وفي الاصل : بأن تُلجى وهو تصحيف

« محا » فقرأوه « يَحْيَا او يحيى ». ولا نرى وجهاً آخر لتعليل هذا التغيير الذي حدث كما نظنّ قبل الاسلام فجرى عليه المسلمون وهم يدعونهُ بيحيى بن زكريّا النبيّ او يحيى الحَصُور لعفافهِ عن النساء. وقد ورد اسم يحيى في الشعر الجاهليّ كما سترى

(والحواريُّون) تلاميذ السيّد المسيح عند العرب وقد اختلفوا ايضاً في اصل هذه اللفظة فقال البعض انَّ معناها القصّار لانَّ رسل المسيح كانوا يقصرون الثياب وهو قول لا سند لهُ اذ لم يُعرَف احد من الرسل بزاولة القصارة . وقال غيرهم هو من الحَوَر اي شدَّة بياض العين في شدَّة سوادها قالوا دُعوا بذلك اصفاء نيَّاتهم وقيل بل لأنَّهم كانوا صفوة الانبياء. (راجع لسان العرب في مادَّة حور). وان صحَّ ذلك يكون اشتقاق الكلمة من السريانيَّة ܚܘܳܪܳܝܳܐ اولى ومعناها الابيض والصافي البياض والنقيّ . والصواب ان اللفظة حبشيَّة hPC? (حَوَاري) ومعناها الرسول . وما لا ريب فيهِ انَّ اللفظة سبقت الاسلام . وقد جاءت في القصائد المعروفة بالاصمعيَّات (ص ٧٥ Ahlwardt.) في بيت للضابئ بن الحارث بن ارطاة البرجميّ يشير الى رغبة رسل المسيح في الموت لاجل سيّدهم استشهاداً:

وكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي الهاهُ زُلْفَى ان يَكُرَّ فيُقْتَلا (١

وقال السموءل يذكر الحواريّ (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢):

وسَمْسَمْنا والحواريّ يحيى ومتّى يوسفَ كأنيّ وليتُ

يريد بالحواريّ يحيى على ما نظن يوحنَّا الحبيب وكذلك ذكر متّى الرسول فخفَّف . أمَّا « يوسف » فلعلَّهُ يوسف المعروف باخي الربّ (متّى ١٣ : ٥٥) او يكون يوسف اسم ابي متى كأنَّهُ اراد متّى بن يوسف

ومؤنَّث الحواريّين (الحَوَاريَّات) قالوا عنَّ نساء الأنصار لبياضهنَّ . قال ابو جلدة وهو مسهر بن الشمان اليشكريّ (لسان العرب ٥ : ٢٩٦)

فَقُلْ للحَوَارِيَّاتِ يبكينَ غيرنا ولا تبكِيَنَّ الَّا الكلابُ النوابحُ
يكينَ الينا خيفةً ان تنيحها رماحُ النصارى والسيوفُ الجوارحُ

قال جعل اهل الشام نصارى لانها تلي الروم وهي بلادها » (لهُ بقيَّة)

---

(١) ويروى : فيُقتَلا